جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية التربية للعلوم الإنسانية \ قسم التاريخ

مملكة قيدار

بحث تقدم به الطالب

(عبد الله حسين علي)

الى مجلس كلية التربية في جامعة بابل

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ القديم

بأشراف

الدكتور

أسامة كاظم عمران

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}

صدق الله العلي العظيم

سورة يوسف آية (٣)

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي ما نجحنا وما علونا ولا تفوقنا إلا برضاه الحمد الله الذي ما اجتزنا درباً ولا تخطينا جهداً إلا بفضله وإليه

ينسب الفضل والكمال والإكمال

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

... اهدي هذا النجاح لنفسي اولاً ثم الى كل من سعى معي لإتمام هذه المسيرة ودمتم لي سنداً لا عُمر له

الى من لا ينفصل أسمي عن اسمه ذلك الرجل العظيم رجل علمني الحياة بأجمل شكل وبذل كل م بوسعه ولم يبخل ، مأمني الوحيد وفرحتي الدائمة والدي الحبيب ادامك الله لنا

وإلى نبراس أيامي ووهج حياتي إلى التي ظلت دعواتها تضم أسمي دائما ، معلمتي الأولى، دكتورتي "الأولى صديقة أيامي " والدتي الحنونة

". و إلى من شد الله . بهم عضدي فكانوا خير معين " إخواني وأخواتي

وأخيرًا من قال أنا لها "نالها وأنا لها وإن أبت رغما عنها أتيت بها . ها هو اليوم العظيم هنا اليوم الذي أجريت سنوات دراستي الشاقة حالم بها حتى توالت بمنه وكرمه الفرحة التمام، فالحمد لله الذي ما تيقنت به خيرا و املاً إلا و أغرقني سروراً ينسيني مشقتي

شكر وتقدير

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ". (رواه أبو داوود)

اولا احمد الله تعالى واشكره على نعمته وحسن عونه، وأصلي وأسلم على خاتم الانبياء والمرسلين، صلوات ربي وسلامه عليه..

الدكتور المشرف: اسامه كاظم عمران ناجي فقد كان صبورا ومحفزا ومثالا للجد والنشاط ومورد..

أتقدم بجزيل شكري إلى كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة على أكمل وجه .

المحتويات

ت	مقدمة	الصفحة
١	الفصل الاول	٨_١٢
٢	الفصل الثاني	١٣_١٩
٣	الفصل الثالث	٢٠_٢٦
٤	الاستنتاجات	٢٧_٢٨
٥	المصادر	٢٩_٣٠

المقدمة

تعد منطقة شمال غرب شبه الجزيرة منطقة إستراتيجية مهمة، فإضافة إلى ما تميزت به من مقومات بيئة طبيعية، فقد كانت معبراً تجارياً ومنفذاً لشبه الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق.م، وقد كان للعرب آنذاك دور مهم في مواكبة الأحداث السياسية والحضارية في منطقة الشرق القديم خلال تلك الفترة التاريخية، بعد أن كانوا في بادئ أمرهم يعيشون داخل نطاق مناطقهم على هيئة قبائل متفرقة ومع مرور الوقت، وتزايد المصالح الاقتصادية المشتركة فيما بينهم، أدى ذلك إلى نشوء ما يمكن أن يطلق عليه اسم «التحالفات القبلية»، مما مهد إلى تفضيلهم الحياة الاستقرار على حياة الترحال، فتزايد نفوذهم وقوتهم، ليس في مناطقهم وحسب بل تعدى ذلك إلى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية

وعلى أثر خروجهم من عزلتهم وتفاعلهم مع الأمم المجاورة لهم بما يخدم مصالحهم الاقتصادية أخذوا يشاركون في الأحداث السياسية في المناطق القريبة والمجاورة لهم، فبدأ ذكرهم يظهر لأول مرة في المصادر الآشورية خلال القرن التاسع ق . م حينما تحدث الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨ ٨٢٤ ق .م» في حولياته عن الحاكم العربي (جنديبو» واشتراكه في معركة قرقر عام ٨٥٣ ق .م ...

ومن جراء بروز القبائل العربية في شمال الجزيرة تزايد ذكرهم في المصادر التاريخية، فتحدثت عنهم التوراة في عدد من أسفارها .

والملاحظ أن تلك الإشارات العابرة عن شعوب وقبائل شمال شبه الجزيرة تصفهم بالبداوة، وعدم التحضر في بداية تاريخهم، وهذا ما جعل المدونات التاريخية اللاحقة تقلل من شأنهم في إطار التجديد والمشاركة في بناء الحضارة عموماً، والحضارة الشرقية القديمة على وجه الخصوص. والحقيقة أن المرء لا يجد مبرراً لذلك الوصف سوى ارتباط الحياة القاسية التي عاشها العرب في شمال شبه الجزيرة، وطبيعة البيئة الصحراوية مع ذكرهم في المصادر.

منطقة شمال غرب شبه الجزيرة تنبئ عن ظهور عدد من الممالك القوية التي قامت منذ مطلع الألف الأول ق.م، وكان لها دورها السياسي والاقتصادي والحضاري في تاريخ المنطقة، من بينها مملكة قيدار التي كانت من أهم الممالك التي تردد ذكرها في المصادر التاريخية (الحوليات الآشورية، وأسفار التوراة)، إذ لا تكاد حوليات ملوك آشور التي تحدثت عن حملاتهم على شمال غرب شبه الجزيرة العربية تخلو من ذكر قيدار في

متونها ، فهي تشير إلى تزعم قيدار آنذاك صد السياسة التوسعية لحكام الدولة الآشورية، والدفاع المتواصل عن مواردهم الاقتصادية، ونظراً لما أدته مملكة قيدار بالنسبة لتاريخ العرب إجمالاً، وتاريخ الشعوب والقبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص، فسيركز البحث على توضيح تاريخ مملكة قيدار السياسي الداخلي والخارجي .

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الاول وتناول النطاق المكاني للقيداريين ذكر فيه أهم المواقع التي أشارت إلى الوجود القيداري، ومحاولة التركيز على أدوماتو موطن وعاصمة قيدار. القبيلة والمملكة،

أما الفصل الثاني: أحوال مملكه قيدار الداخلية.

وتناول الفصل الثالث: علاقات مملكة قيدار الخارجية.

الفصل الأول

الحدود الجغرافية لمملكة قيدار

تعد مملكة قيدار أكبر وأهم مملكة عربية تاريخية في الألفية الأولى قبل الميلاد، كان القيداريون على رأس «كونفدرالية قبلية عربية» أو «تحالف قبائل عربية معظم أفرادها من البدو. وفقا لفيليب كينغ عاش القيداريون في الصحراء العربية الشمالية الغربية، وكانوا «ذوي قوة مؤثرة في الفترة مابين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد.» جيفري بروميلي: عالم التاريخ والمترجم، يكتب اسمهم «كدار» ويذكر أنهم عاشوا في منطقة جنوب شرق دمشق وشرق الأردن.([1])

في القرن الثامن قبل الميلاد تشير النقوش الآشورية إلى تواجد القيداريين في المنطقة إلى الشرق من الحدود الغربية لبابل. كما تشير إلى تواجد القيداريين في مناطق شرق الأردن وجنوب سوريا في القرن السابع قبل الميلاد، وبحلول القرن الخامس قبل الميلاد، انتشروا في نواحي سيناء حتى دلتا النيل. شملت السيطرة القيدارية على شمال غرب الجزيرة العربية تحالفات بين ملوك قيدار وملوك ديدان. كتب المؤرخ إسرائيل إبهال أن «اتساع توزع القيداريين يشير إلى اتحاد القبائل من مختلف الانقسامات الفرعية. عاش سكان مملكة قيدار في المنطقة الصحراوية الواقعة -شمال وشمال غرب الجزيرة- ولعبت الواحات المدنية؛ مثل: (دومة - تيماء) دورا مهمًّا كمواقع للاستيطان والتجارة وأماكن للري. كانت دومة أهم تلك المدن ومقرًّا للعبادة، عُرفت «دومة» بهذا الاسم نسبةً إلى (دومة بن إسماعيل)، فيما بعد عُرفت باسم «دومة الجندل»، والجندل هي الحجارة التي تنتشر في تلك المنطقة، تقع دومة الجندل اليوم في منطقة «الجوف»، كسبت دومة الجندل تلك المكانة الكبيرة عند القيداريين لأهمية موقعها الاستراتيجي التجاري، الذي كان بمثابة تقاطع مركزي لعدد من المحاور والطرق التجارية: التي يمكن ايضاحها على النحو الاتي ([2])

١. محور التجارة ما بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمال وغرب غزة ومصر
٢. طريق تجاري شمال وشرق بلاد ما بين النهرين (طريق يتجاوز صحراء النفود)
٣. محور التجارة بين الشرق والغرب (جنوب بلاد ما بين النهرين - غزة ومصر)
٤. محور التجارة ما بين (جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمال بلاد الشام)

لم تتمكن الدراسات التاريخية من تحديد الإطار المكاني للقيداريين، إلا بعد أن حدد موقعهم خلال القرن السابع ق.م من قبل الملك الآشوري سنحاريب عندما تحدث عن حملته على بلاد العرب ومحاصرته لأدوماتو

[1] د. هند بنت محمد ، مملكة قيدار دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ،كلية الاداب-جامعة الأمير نورة،٢٠١١، ص ص ٨٣- ٨٧
[2] المصدر السابق هند بنت محمد ، المصدر السابق، ص ٨٥

فأشار إليها مقراً وعاصمة للقيداريين. وقد أكدت السجلات الحولية الآشورية بعد ذلك ظهور أدوماتو عاصمة سياسية، ومركزا دينيا لقيدار [1]

فقد أطلقت السجلات التاريخية لآشور بانيبال على التجمع السياسي الديني لبطون قيدار لقب «اتحاد عثتر سمين نسبة نسبة إلى كبير آلهة دومة [2]، فأدوماتو ضمت معابد الآلهة وتماثيلها.

وهكذا فالشواهد التاريخية تؤكد أن أدوماتو الموطن والقاعدة الرئيسة لشعب قيدار، ونشأت بها المملكة القيدارية التي شهدت ازدهاراً سياسياً واقتصادياً، جعل منها قوة سياسية تقف في وجه أطماع الآشوريين.

وهذا لا يعني أن أدوماتو مقر القيداريين لم يكن لها وجود سياسي قبل تلك الفترة، فقد كشفت الدراسات الأثرية عن وجود استيطان في المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ حيث تضم واحداً من أقدم مواقع العصر الحجري القديم، وهو موقع الشويحيطية [3] الواقع شمال مدينة سكاكا [4] ، كما قدمت الأدلة الأثرية شواهد على وجود استقرار في منطقة الجوف يعود إلى نهاية الألف الرابع ق.م، وبداية الألف الثالث ق.م، فقد أشارت الأدوات الحجرية والكسر الفخارية التي عثر عليها إلى ذلك، ويعد موقع «الرجاجيل» الذي يقع إلى الجنوب من مدينة سكاكا من أبرز المواقع التي تنتمي إلى تلك الفترة [5].

أما الألف الثاني ق.م فيعد من الفترات الغامضة في تاريخ منطقة الجوف، وذلك لأن الأعمال الأثرية لم تكشف مواقع أو مواد أثرية تعود إلى هذه الفترة التاريخية.

ويعد النصف الأول من الألف الأول ق.م من أهم الفترات التاريخية لمنطقة أدوماتو، فقد شهدت المنطقة ظهور التجمعات القبلية ثم اتحادها تحت قيادة واحدة ومن ثم اشتراكها مع قوات التحالف الآرامي، والذي وقف

[1] Retso,Jan, The Arabsin Antiquity Their history from the Assyrians to the umayyads, Routledge curzon London and New York – 2003.p153-155

[2] Macdonatd , M.S.A.North Arabia in The First Millennium BCE Civilizations Of The Ancient Near East, NewYork 1995 P.P 1365 – 1369

[3] تعد منطقة الشويحيطية أقدم موقع أثري في شمال شبه الجزيرة العربية، والموقع عبارة عن مستوطنة تتكون من عدة مواقع متجاورة، أثبتت دراستها أن بيئة منطقة الجوف خلال تلك الحقبة القديمة جدا بيئة ملائمة وصالحة للاستقرار وتتوافر فيها مقومات الحياة التي يحتاج إليها إنسان العصور الحجرية القديمة. المعيقل. المواقع الأثرية في منطقة الجوف، ص ٦٨ سندي الدراسات الجيولوجية الآثارية للحياة البشرية القديمة ص ١٢٧ نورمان والين سراح علي، سندس بيس تقرير عن موقع يعود إلى العصر الحجري، ص ١١٦

[4] المعيقل الاستيطان الحضاري بمنطقة الجوف، ص ١٢

[5] المعيقل المواقع الأثرية في منطقة الجوف، ص ٦٩.

في وجه التوسع الآشوري في معركة (قرقر) [1]، حيث أكدت المصادر الآشورية والأحداث التاريخية اللاحقة، انتماء جنديبو العربي إلى منطقة أدوماتو، على الرغم من أن هذا التحديد يشوبه الغموض بسبب انعدام الدليل التاريخي الواضح في الوقت الراهن.

ومن المرجح أن منطقة أدوماتو كانت هي المركز السياسي للقوة العربية والتي ظهرت متمثلة في الملكة زبيبي ملكة العرب عندما ذكرها نص تيجلات بليسر الثالث مع الملوك الذين قدموا له الإتاوات، فالنص يشتمل على أول ذكر وظهور لقيدار وللملكة زبيبي ملكة العرب [2].

كذلك ظهرت الملكة شمسي التي خلفت الملكة زبيبي في حكم المنطقة، وحسب ما تشير إليه المدونات الأشورية وما ورد بها من معلومات تاريخية حول الملكة شمسي يمكن تحديد أن منطقة حكمها كانت أدماتو [3]، كذلك لابد وأن تكون الملكة (يثيعة) والتي ساندت ثورة البابليين بجيش بقيادة أخيها (بسقانو) تحكم نفس منطقة جنديبو، وزبيبي، وشمسي أي أن أدومات كانت مركز هؤلاء الملوك والملكات.

لقد استمرت أدوماتو في تأدية دورها السياسي بعد ذلك حيث تناوب على حكمها ملوك قيدار، فأصبحت مركزاً حضارياً مزدهراً خلال فترة حكمهم، واستمرت على ذلك حتى بعد سقوط دولتي آشور وبابل، بل إن فترة النصف الثاني من الألف الأول ق.م تعتبر من أهم مراحل ازدهار المدينة وتوسعها، حيث تحكمت بطريق قوافل التجارة التي كانت تعبر وادي السرحان باتجاه الشمال والجنوب، ونظرا لأهمية دورها التجاري امتد إليها النفوذ النبطي فأصبحت في نهاية الألف الأول ق.م من أهم المراكز النبطية في شمال شبه الجزيرة العربية حيث تم الكشف عن مواقع أثرية كثيرة في دومة الجندل من أهمها قلعة مارد التي عثر فيها على كسر فخارية وطبقات أثرية ترجع إلى العصر النبطي [4]، وحي الدرع أقدم أحياء المدينة الذي وجد فيه طبقات أثرية نبطية[5].

---

[1] قرقر مدينة آرامية تقع في سوريا، وهي إحدى مدن مملكة حماة، وقد كانت محطة للقوافل التجارية القادمة من الجنوب. ساكز - ت سليمان. قوة آشور، ص ١١٣.

[2] Tadmor, H, The Inscriptions of Tiglathpileser III King of Assyria, Jerusalem 1994. p. 87

[3] Eph'al, I., The Ancient Arabs, Nomands on the Borders of Fertile Crescent 9 – 5 Centuries B. C., Leiden 1982, p. 113

[4] المعيقل المواقع الأثرية في منطقة الجوف، ص ٧٤.

[5] الشمري. حي الدرع بدومة الجندل، ص ٦٩، ص ٧٠.

مما سبق يتضح الدور التاريخي والحضاري لأدوماتو ليس فقط خلال فترة الحكم القيداري، إنما استمرار ذلك الدور إلى بزوغ فجر الإسلام [1].

لقد كانت أدوماتو الموطن الأول لقيدار حيث ارتبط ذكرهم مع ذكر أدوماتو خلال القرن السابع ق.م واستمر وجودهم إلى أن تلاشى ذكرهم من النقوش والسجلات التاريخية التي تعود إلى فترة القرنين السابع وفي بداية القرن الرابع ق.م ظهر القيداريون في منطقة تل المسخوطة الواقعة على بعد ١٩ ميلاً غرب مدينة الإسماعيلية في مصر، حيث ظهر اسم ملك قيدار منقوشاً على أحد أربع طاسات منقوشة بكتابة آرامية : ذلك الذي جلبه قينو بن جشمو ملك قيدار قرباناً للإلهة اللات [2].

وتثبت تلك الآنية تواصل القوة القيدارية وتوسعها، ومن ثم وجودها في الدلتا في الفترة الأخيرة من النفوذ الفارسي على المنطقة، ولعل ما يؤكد ذلك الكتابة الآرامية التي كتب فيها النقش والتي توافق الكتابة الآرامية في الفترة الفارسية فالنقش من طراز الأحرف المتصلة، والمعروف بخط «المستشار»، أو ما أصبح يدعى مؤخراً بالخط المتصل المحافظ؛ حيث يتميز عامة برتوش رفيعة متحفظة بشكل عام بالتظليل، مع رفض معتاد لقبول الإبداع والتعديل، ولا يوجد من الخطوط الشعبية التي اعتمدت على هذا الأسلوب المتصل إلا القليل [3].

ونظراً لتوحد الخطوط على الأقداح «الصحون» لا توجد معايير تسمح بتحديد نوعية التطور في الآنية التي عثر عليها نفسها، لذلك جميعها يرجع لنفس الفترة التاريخية أي نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م.

[1] للاطلاع على الدور التاريخي والحضاري لأدوماتو . انظر : المعيقل الاستيطان الحضاري بمنطقة الجوف، ص ٢٩-١١ وادي السرحان في عصر ما قبل الإسلام، ص ٣٣-٦٣. وادي السرحان في عصر ماقبل الاسلام ،ص٣٣-٦٣

[2] Dumbrell,W. The Tell Elmaskhuta Bowls and the Kingdom, of Qedar in the Perisian Period, BAsor 203, 1971. p. 36

[3] Dumbrell,W. The Tell Elmaskhuta Bowls and the Kingdom, of Qedar in the Perisian Period, BAsor 203, 1971. p. 38.

ولعل ما يؤكد التوسع القيداري في دلتا مصر ذلك النقش القيداري الذي عثر عليه في تل المسخوطة أيضاً مع نقش «قينو» والذي يشير إلى اتصال العرب مع مصر واندماجهم مع الثقافة المصرية القديمة، فصاحب

النص يحمل اسماً مصرياً قديماً «صحاء» [1]، بينما يحمل أبوه اسماً عربياً «عبد عمرو» مما يدل على التأثير المصري على عرب قيدار، وتأكيد وجودهم في منطقة الدلتا خلال تلك الفترة التاريخية [2].

يتضح مما سبق أن قيدار قوة كان لها وجود وثقل سياسي في منطقة أدوماتو خلال الفترة الآشورية، ثم توزع رعاياها بعد انتهاء القوة الآشورية، وسيطرة البابليين على المنطقة في الصحراء شمال شبه الجزيرة إلى ان ظهروا في الفترة الفارسية جنوب فلسطين وبالتحديد في منطقة الدلتا.

وربما يكون هناك مواقع استيطانية أخرى للقيداريين حاول الباحثون إيجاد أدلة تاريخية على وجودها على الرغم من الغموض وصعوبة اقتراحاتهم وفرضياتهم [3].

[1] Rabinowitz, I., saac, Aramaic Inscriptions of the fifth centry. B.C.E. froma North – Arabs hrinein Egypt Journal of Near Eastern studies in currently publ ished by the university of Chicago press vo 1115, No. 1. (jan – 1956). p. 5

[2] السعيد. العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، ص ١٣.

[3] يقترح جي رايت Wright أن قصر الفترة الفارسية في تل الدوير والعثور على مذابح البخور التي نقب عنها في تل الدوير لابد أنها مرتبطة بالانتعاش الكبير لحركة مرور قوافل البخور العربي الجنوبي في القرنين السادس والخامس ق. م. مما يرجح اعتبار تل الدوير منطقة وجود قيدارية. كما أن الصحن الفضي الذي عثر عليه في تل فرح والذي يرجع لنفس الفترة الفارسية، ويتشابه مع صحن قينو يجعل بالإمكان افتراض منطقة تل فرح منطقة قيدارية. انظر Dumbrell, The Tell Elmaskhuta, p..43

Bienkowski, E.V. Tribes Trade, and Towns, p. 24

ويضيف ويلم دمبرل مواقع قيدارية أخرى، حيث يجعل عصيون جبر، وعين جدي وتل أراد مراكز قيدارية بالرغم من عدم استفاده لدليل يؤيد ذلك ويؤكده. Dumbrell The Tell Elmaskhuta,p. 43

الفصل الثاني

أحوال مملكه قيدار الداخلية

القبيلة هي أساس التنظيم السياسي، وهي العمود الفقري لحياة البادية، بل إن نظامها تولد من جراء الظروف الطبيعية التي عاشها العربي البدوي في الصحراء فالقبيلة تقدم لهم مأوى ينتمون إليه، وملجأ يمنعهم من عدم الاستقرار [1].

وتتألف القبيلة من بيوت وبرية يختلف عددها باختلاف حجم القبيلة وباختلاف مواسم الرعي، حيث يضطر بعض الأفراد للتنقل بحثاً عن المراعي الجيدة، إلا أنهم يعودون إلى القبيلة بانتهاء ذلك [2].

وترتبط القبيلة غالباً بارتباط النسب الواحد ؛ حيث تجمع بين أفرادها أواصر القرابة، وهم يشتركون في سبيل المحافظة على تماسك القبيلة، بل ينتسبون إلى الجد الأعلى الذي تسمى القبيلة باسمه [3]، وتجتمع القبيلة أحياناً لرعاية مصلحة اقتصادية وسياسية مشتركة أو عقيدة واحدة، فللمعبودات تأثيرها على المجتمع القديم، فتجتمع قبيلة أو أكثر لرعاية معبوداتها ، ولم تكن الوحدة الدينية هي أساس القبيلة فقط، وإنما كان لها نظام سياسي يقف على رأسه شيخ القبيلة، فهو حامي القبيلة، ويتم تعيينه بمشورة وموافقة جماعية، ويشارك فيها رؤساء العشائر في القبيلة الواحدة، إما لتقدمه في السن، أو المعرفته وإدراكه للأمور وقدرته السياسية والحربية في مواجهة الأخطار التي تحيط بالقبيلة [4]، وكان للقبيلة مجلس مكون من كبار رجالها ، يساعدون الشيخ في إصدار القرارات التي يتحكم فيها العرف المتوارث والقيم الاجتماعية، حيث كانت بمثابة القانون الذي يملي القرارات الواجب اتخاذها وتأتي سلطة الشيخ بعد ذلك في اتخاذ القرار وتنفيذه.

ونظام الحكم القبلي هو نظام وراثي، فحينما يتوفى شيخ القبيلة يتولى أكبر أبنائه رئاسة القبيلة من بعده؛ شريطة توافر عدد من الأسباب في شخصه، لعل من أهمها الشجاعة والحنكة السياسية، والقدرة على مواجهة

[1] ابن صراي تاريخ شبه الجزيرة، ص ٤٠٥ علي المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣١٣ ولد دادام جزيرة العرب مصير أرض وأمة، ص ٤٤.
[2] على المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٣١٤.
[3] يحيى العرب في العصور القديمة، ص ٣٤٣.
[4] علي المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣١٣؛ ولد داداه جزيرة العرب مصير أرض وامة، ص ٥٠.

الأخطار التي تحيط به وبقبيلته، وقد تكون رئاسة القبيلة بالوصية والتعيين، حيث يختار الشيخ قبل وفاته شخصاً يرشحه ليتولى زعامة القبيلة، ويحافظ على تماسك وحدتها السياسية [1].

ولم تكن القبيلة على حال مستقرة؛ سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية فهي في ترحال وتنقل من مكان لآخر بحثا عن المكان الملائم للإقامة، ولتحقيق ذلك شاعت ظاهرة النزاع والغزو بين القبائل في سبيل الحصول على امتيازات أكثر، تمثلت في المكان المناسب، أو مجاورة قبائل قوية تفرض عليها الحماية السياسية [2].

لقد شاع النظام القبلي في معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية، وشكل أساساً لنظام الحكم فيها، فبرزت قبائل في شمال شبه الجزيرة العربية تزايد ذكرها في المصادر، كان من بينها قبيلة قيدار التي تحدثت عنها أسفار التوراة، حيث ذكرتها متجاورة مع القبائل الإسماعيلية «نبيات، أدب إل مبسام مشماع، دومه، حدار ...» وجعلتها في مقدمة هذه القبائل لشهرتها واتساع نطاق أراضيها.

ووصفت أسفار التوراة قيدار [3] بأنها قبيلة تسكن الصحراء، وتتخذ من الخيام مساكن لها؛ حيث تسمى مساكنهم باسم حصور، وبالجمع «حصوريم»، بمعنى المعسكر الثابت والخيام القوية القابلة للنقل، فأهل قيدار حسب ما يشير إليه مصطلح «حصور» كانوا مستقرين في أماكن محددة، وكانوا رعاة ينتقلون من مكان لآخر طلباً للمراعي الخصبة ثم يعودون إلى بلدانهم بعد انحسار الكلأ، فاعتنوا بتربية المواشي، وكانوا يمتلكون قطعاناً من الماعز والغنم وزاولوا تجارة الكباش.

لقد اجتمعت قيدار مع العشائر التابعة لها والمقيمة قرب واحة «أدومو» الرعاية مصلحة مشتركة، وعقيدة واحدة، تزعمت فيها قيدار السيادة، وتقديم طقوس العبادة وتقديس الآلهة في معابد دومة، فكان الدين أهم رابط جمع بين القيداريين وجيرانهم من العشائر؛ حيث كانت قيدار على علاقة طيبة مع القبائل المجاورة لها ،

[1] علي المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٣٤٩؛ يحيى العرب في العصور القديمة، ص ٣٥٩.
[2] يحيى العرب في العصور القديمة ص ٣٥٩؛ ولد داداه العرب مصير ارض وامة، ص ٤٨
[3] سفر أشعياء ، ٧٠٦٠ / سفر حزقيال، ٢١:٢٧

فارتبطت معها بعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية، وخاصة قبيلة نبيات [1] وذلك لقربها من أراضيها، فأرض نبيات تقع في الجزء الجنوبي من منخفض السرحان، جنوب مراعي قيدار، شرق أراضي أدوم،

فأصبحت ملجأ يلجأ إليه زعماء قيدار وملوكها إذا هزموا أو اضطروا إلى الفرار من العدوان الآشوري. وربطت التجارة ورعاية القوافل التجارية بين قيدار ونبيات، فموقع أدوماتو عاصمة القيداريين على الطريق التجاري جعل لها صلة كبرى بالمناطق المجاورة لها، فنبيات لها صلة كبيرة بقوافل التجارة، فقد كانوا يقومون بتأجير الجمال لتلك القوافل التي تمر بأراضيهم [2].

استمرت علاقة قيدار مع نبيات؛ بل تعززت تلك العلاقة وتوثقت أواصرها عندما انتقلت قيدار من نظام الحكم القبلي إلى النظام الملكي؛ حيث ازدادت مكانتها السياسية، والاقتصادية وأصبحت مطمعاً وموقعاً إستراتيجياً مهماً تتطلع القوة الآشورية إلى السيطرة عليه، فتحالفت مع نبيات للقضاء على الأطماع الأشورية.

أشارت المصادر الآشورية إلى القيداريين لأول مرة عام ٧٣٨ ق . م خلال السنة التاسعة من حكم تيجلات بليسر الثالث، فذكرت قيدار اسماً لمكان حيث سبقت الكلمة قيدار وفق ما ورد في المدونات الآشورية بالعلامة المسمارية الدالة على بلاد (Kurqid-ri)[3]، ولعل هذه الإشارة تعني في دلالتها المعنوية إشارة إلى قيدار القبيلة التي غلب اسمها وأصبحت تطلق على المكان، فيذكر قيدار كناية عن قبيلة قيدار من مثل الآراميين نسبة إلى آرام، فالاسم آرام ورد اسماً لمكان، واسماً لعلم وهكذا .

أخذت قبيلة قيدار ترتقي بالتنظيم السياسي شيئاً فشيئاً، فبدأت تتطلع إلى تنظيم أكبر تتحول فيه من أوضاعها السياسية القبلية إلى تنظيمات الدولة المستقرة، فلم تقتصر على حدودها القبلية، وتحالفت مع عشائر أو قبائل يجمعها الجوار، والقرب المكاني والمصالح المشتركة، فاحتاجت هذه التجمعات إلى لقب يكون أكثر مركزية

[1] قبيلة نبيات من أقوى القبائل في شمال شبه الجزيرة العربية، ذكرتها أسفار التوراة متجاورة مع القيداريين سفر التكوين ٢٥ : ١٣ ، وجمعتهم علاقات ودية مع الأدوميين «نسل عيسو»، حيث ترد الإشارة إلى أن عيسو تزوج محلة بنت إسماعيل أخت نبيات سفر التكوين ٢٨:٩ / ٣٦:٢ » .

[2] عباس، أبو طالب . شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري، ص ٢٨.

[3] وهي العلامة المسمارية الدالة على بلاد في (Kur qid - ri. Kur A-ri-bi) كناية عن أهمية بلاد القيدار، ثم إن توجيه النص في بدايته إلى الآراميين، تركي بك. علاقات بلاد الرافدين، ص ٨٤

وشمولا ، فأطلق لقب ملك على الحاكم المسؤول بالرغم من قرب هذا النظام في بداياته إلى نظام المشيخة القبلية.

ووفق رواية المصادر التاريخية فإن أول ذكر للفظة ملك عند القيداريين ترد في حوليات الملك الآشوري «أسرحدون» عندما ذكر حزائيل ملك العرب [1].

فكان هذا أول إشارة في المصادر لظهور لقب ملك عند القيداريين، ومن ثم توالى ذكر قيدار وملوكها في حوليات عدد من الملوك الآشوريين. وهذا لا يعني أن قيدار المملكة لم يكن لها وجود قبل إلحاق صفة ملك على حزائيل، فالشواهد تشير إلى أن قيدار كان لها كيان سياسي قبل تلك الفترة التاريخية، فإذا حاولنا أن نربط بين ذكر قيدار وظهور العرب ربما نستطيع أن نخرج بنتيجة مؤداها أن ذكر قيدار وارتباطها مع العرب في حوليات الملوك الآشوريين الذين جاءوا بعد شلمنصر الثالث منذ عهد تيجلات بليسر الثالث إلى آشور بانيبال وارتباط الأحداث وتسلسلها وتشابه المنطقة التي وقعت فيها تلك الأحداث - على الرغم من عدم الإشارة إليها - في النصوص الآشورية، تجعل بالإمكان إثبات أن جنديبو، زبيبي، شمسي يثيعة كانوا زعماء وملوكا ينتمون إلى قيدار، ذكروا في النصوص الآشورية كملوك يرجعون إلى بلاد العرب، فهي المنطقة التي يعيشون فيها، وقيدار هي القبيلة والشعب التي ينتمون إليها، فتسمية العرب كناية عن أرض العرب، وقيدار كناية عن أصلهم ونسبهم، فقيدار وعرب يذكران عند الإشارة إلى الملك القيداري حزائيل فتلقبه المصادر الآشورية باسم «ملك العرب»، وأحياناً أخرى يلقب باسم ملك «قيدار»، وهكذا فإن المرجح أن قيدار كان لها نظام ملكي بنيت قواعده وتكونت معالمه خلال فترة زمنية طويلة سبقت ظهوره.

لقد تميز النظام الملكي القيداري بتنظيم سياسي، كان على رأسه الملك الذي له السلطة العليا في إدارة شؤون المملكة، وإصدار القرارات السياسية، والإشراف على المعبد والتماثيل، ولعل ما يعزز ذلك بذل الملك حزائيل قصارى جهده لإرجاع التماثيل المقدسة لشعب قيدار التي سلبها سنحاريب عند غارته على أدوماتو [2].

[1] Retso,Jan, The Arabsin Antiquity Their history from the Assyrians to the umayyads, Routledge curzon London and New York – 2003, p. 158

[2] Eph'al, I., The Ancient Arabs, Nomands on the Borders of Fertile Crescent 9 – 5 Centuries B. C., Leiden 1982, p. 123

ويساند الملك في دوره السياسي والديني كاهنة تراعي المعبد وتهتم بالتماثيل المقدسة؛ بل يستشيرها الملك في جميع الأمور، وتكون مرافقة للحملات العسكرية لكي تتحقق البركة والانتصار بوجودها.

كان لقيدار قوانين سياسية تدل على مدى التطور السياسي في تلك الفترة التاريخية، فلم يكن هروب الملك أو وقوعه في الأسر يقضي على وجود المملكة ويسارع بنهايتها، فعندما هرب الملك يثع بن حزائيل إلى قبيلة

نبيات تولت الملكة «عطية» القيادة بدلاً منه متحالفة مع قائد القوات القيدارية «عمولادي» لتكمل الحرب ضد الآشوريين [1].

وقد كان نظام الحكم الملكي القيداري نظاماً وراثياً وهو نظام من سمات النظام الملكي وقواعده، حيث يتولى الابن الملك نيابة عن أبيه [2] ولعل ذلك يتضح جلياً بتعيين يثع بن حزائيل خلفاً لوالده حزائيل بعد وفاته.

بلغت المملكة القيدارية قوتها وذروتها خلال حكم الملك الآشوري آشور بانيبال فكانت تقف في وجه هذا الملك وتحد من طموحاته، وتتصدى لمعاركه وتتحين الفرص للتحالف مع القوى المجاورة لها حتى تحافظ على مصالحها واقتصادها، فالسيطرة على الطرق التجارية، والاستفادة من خبرة العرب كأدلاء للقوافل التجارية كان هدف آشور ومطمعها الأساس.

أولا: الأوضاع الاجتماعية :

المجتمع هو أساس التكوين الاجتماعي، وهو النواة الأساسية لكل الحضارات فلا يمكن دراسة قبيلة أو نظام سياسي دون دراسة مجتمعه، والمجتمع القيداري كانت له مظاهر المعيشته وأسلوب لتنظيمه، نستطيع استنتاجها من خلال المدونات الآشورية، وأسفار التوراة ، والنقوش القيدارية، وعلى الرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن قيدار إلا أنها تعطي فكرة واضحة بعض الشيء عن مجتمعها، فقيدار في بداية تكوينها كانت عبارة عن

[1] Eph'al, I., The Ancient Arabs, Nomands on the Borders of Fertile Crescent 9 – 5 Centuries B. C., Leiden 1982, p. 152
الوائلي . تاريخ العرب القديم، ص ١٠٤.
[2] علي المفصل في تاريخ العرب، ج ٥، ص ١٤٩

مجتمع قبلي يعيش في خيام متنقلة طلباً للمراعي الخصبة [1] قاعدة تنظيمه الاجتماعي هي الأسرة التي تتكون من الأب والأم، وقد تمتد الأسرة لتشمل عدة أجيال الأصول والفروع فيتكون منها المجتمع.

وكان للمجتمع القيداري تنظيماته الخاصة، فقد اعتمد في بداية تكوينه على العرف والتقاليد كنظام تشريعي، وقانون يحكمه، والعرف عبارة عن مجموعة من القواعد التي يتبعها الناس دون أن يتدخل في ذلك نص صادر عن سلطة، بل يستمد قوته من اصطلاح الجماعة عليه [2]، ويقوم العرف على عنصرين هما: التلقائية والتكرار ثم الإجبار، ولكي يكون الفعل عرفاً يلزم تكراره، ورضا الجماعة عنه، فأساس العرف هو إرادة

الجماعة، فهي التي تقرر سلوكا معينا، وتكون مسؤولة عن إيقاع العقوبة على مخالفيه، عن طريق زعيمها أو شيخها.

وكان أساس المجتمع القبلي القيداري زعيم القبيلة وشيخها، الذي أشارت إليه المدونات الآشورية في متونها، فهو حامي القبيلة والمسؤول عنها، يليه في الأهمية كاهنة المعبد، والتي يستدل منها على أهمية المرأة القيدارية، والحرص على مشاركتها في المجتمع منذ أن كان مجتمعاً قبلياً بسيطاً؛ حيث أشارت نصوص الملك الأشوري سنحاريب إلى وجودها عندما قام بحملته على بلاد العرب.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية :

شهدت منطقة أدوماتو ازدهاراً اقتصادياً خلال الحكم القيداري لها، فقد ساعد الموقع المميز في شمال غرب شبه الجزيرة، وتوافر المياه، والأراضي الخصبة ووقوعها على مسار طريق التجارة القديم القادم من أقصى جزيرة العرب باتجاه المراكز الاستهلاكية للتجارة العربية على تحقيق نشاط تجاري ونمو اقتصادي للمجتمع القيداري.

[1] وجاء في سفر أشعيا ١٢:١١,٤٢ أن قيدار تسكن الصحراء والخيام، حيث ورد ما نصه : لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنتها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر

[2] العرف في اللغة: ما يستحسن من الأفعال، وهو ضد المنكر، وقيل: هو كل ما ندب إليه الشرع، ونهى الناس عنه ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٢٤٠.

وقد كان للقيداريين ثروات اقتصادية تحدثت عنها الحوليات الآشورية، وكانت سبباً وراء الحملات العسكرية المتكررة لحكام آشور ؛ ليضمنوا التبعية والسيطرة المطلقة والتحكم المباشر بتلك الموارد والمنتجات التجارية الاقتصادية [١] .

يحتل الرعي المركز الأول في اقتصاد قيدار، حيث انتشرت المراعي في أراضي دومة، وتركزت في المنطقة الحدودية شمال بلاد النبيات [٢]، دومة، وتركزت في ، وكانت المراعي حقاً مشاعاً لسكان قيدار، ولكن كان هناك نظام الحمى؛ حيث كانت تحمى الأراضي الحيوانات الدولة المخصصة للحروب، وتحمى المراعي لحيوانات المعبد المخصصة للقرابين والنذر، وخصص القيداريون ملاجئ لهم بين الصخور في جبال منطقتهم تكون ملاذاً لهم ولقطعانهم إذا شعروا بالخطر، كذلك عينوا ربايا «حرساً» لهم على أعلى القمم ينبئونهم عن الأخطار المحدقة بهم، ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في سفر أرميا الذي يذكر الخطر الذي يهدد قيدار من نبوخذ نصر، والذي يطلب منهم أن يهربوا ويختبئوا في ملاجئهم حتى لا تؤخذ أغنامهم وأدواتهم وإبلهم، ويمتلك القيداريون قطعاناً كبيرة من الماعز والغنم والإبل والحمير ؛ حيث تشير أسفار التوراة إلى أن قيدار تملك قطعاناً من الماعز والغنم، وأنهم يزاولون تجارة الكباش.

وأشارت النصوص الآشورية إلى امتلاك قيدار للإبل، فمن خلال استعراض الإتاوة المقدمة من ملوك قيدار إلى الملوك الآشوريين، يتبين كثرة أعداد الإبل المقدمة فلا تخلو أي إتاوة من وجود الإبل [٣].

وعلى إثر انتصار «آشور بانيبال» على الملك يثع بن حزائيل غنم منه عدداً لا يحصى من الحمير والجمال والأغنام، حيث يشير النص إلى أن بلاد آشور اكتظت بكثرة الغنائم الأمر الذي جعل آشور بانيبال يقوم بتقسيمها على رعاياه، مما أدى إلى تدني سعر الجمل في سوق آشور إلى مبلغ زهيد [٤].

[١] السعيد. التطور التاريخي في منطقة الجوف، ص ١٦.
[٢] عباس أبو طالب شمال الجزيرة العربية، ص ٢٥.
[٣] السعيد. التطور التاريخي في منطقة الجوف، ص ١٦.
1. [4] Weippert, M., Die Kaempfe des assyrischen Koenigs Assurbanipal gegen die Araber, (1973), p. 82

الفصل الثالث

علاقات مملكة قيدار الخارجية

بدأ الظهور التاريخي لقيدار منذ أن تردد ذكر قيدار القبيلة والمملكة في المصادر الآشورية ثم البابلية كما ذكر سابقاً، وتظل الحوليات الآشورية حتى الآن سجلاً جيداً لمعرفة أحوال قيدار وملوكها وعلاقاتهم الخارجية، فمنذ عهد تيجلات بليسر الثالث ظهرت قيدار مع الممالك التي شاركت في الحرب ضد الآشوريين، ثم في دفع الإتاوة، وبالرغم من عدم إشارة النص وتخصيصه لاسم الملك القيداري الذي شارك في دفع الإتاوة، واقتصار النص على ذكر قيدار علماً لشعب (1) ، إلا أن ذكر قيدار مع الملوك الذين وجه لهم هذا النص يوضح الأهمية السياسية لقيدار المملكة، فلا بد أنها كانت مسيطرة على منطقة مهمة، دفعتها لمجابهة الآشوريين والمشاركة في صد حملة الملك الآشوري التوسعية على شمال شبه الجزيرة، وبعد انتصاره ، وفرض إتاوة عليهم سجلها في حوليته المرسلة إليهم.

اولاً: الحياة الاجتماعية:

المجتمع هو أساس التكوين الاجتماعي، وهو النواة الأساسية لكل الحضارات فلا يمكن دراسة قبيلة أو نظام سياسي دون دراسة مجتمعه، والمجتمع القيداري كانت له مظاهر المعيشته وأسلوب لتنظيمه، نستطيع استنتاجها من خلال المدونات الآشورية، وأسفار التوراة، والنقوش القيدارية، وعلى الرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن قيدار إلا أنها تعطي فكرة واضحة بعض الشيء عن مجتمعها، فقيدار في بداية تكوينها كانت عبارة عن مجتمع قبلي يعيش في خيام متنقلة طلباً للمراعي الخصبة قاعدة (2) . تنظيمه الاجتماعي هي الأسرة التي تتكون من الأب والأم، وقد تمتد الأسرة لتشمل عدة أجيال الأصول والفروع فيتكون منها المجتمع.

[1] Tadmor, H, The Inscriptions of Tiglathpileser III King of Assyria, Jerusalem 1994, p. 107 - 109

[2] قيدار في العهد القديم، سفر أشعياء ٤٢:١١ ١٢.

وكان للمجتمع القيداري تنظيماته الخاصة، فقد اعتمد في بداية تكوينه على العرف والتقاليد كنظام تشريعي، وقانون يحكمه، والعرف عبارة عن مجموعة من القواعد التي يتبعها الناس دون أن يتدخل في ذلك نص صادر عن سلطة، بل يستمد قوته من اصطلاح الجماعة عليه([1])، ويقوم العرف على عنصرين هما: التلقائية والتكرار ثم الإجبار، ولكي يكون الفعل عرفاً يلزم تكراره، ورضا الجماعة عنه فأساس العرف هو إرادة الجماعة، فهي التي تقرر سلوكاً معيناً، وتكون مسؤولة عن إيقاع العقوبة على مخالفيه، عن طريق زعيمها أو شيخها .

وكان أساس المجتمع القبلي القيداري زعيم القبيلة وشيخها، الذي أشارت إليه المدونات الآشورية في متونها، فهو حامي القبيلة والمسؤول عنها، يليه في الأهمية كاهنة المعبد، والتي يستدل منها على أهمية المرأة القيدارية، والحرص على مشاركتها في المجتمع منذ أن كان مجتمعاً قبلياً بسيطاً؛ حيث أشارت نصوص الملك الآشوري سنحاريب إلى وجودها عندما قام بحملته على بلاد العرب ولما تحول المجتمع القيداري إلى النظام الملكي، وخرج عن دائرة حدوده السياسية وأصبح له علاقات مع الشعوب والدول المجاورة له احتاج المجتمع إلى تنظيم أكثر شمولية، حيث يستطيع عن طريقه مجابهة الأخطار الخارجية، فتكون المجتمع من هرم اجتماعي كان على رأسه الملك الذي من مهامه حماية الناس والبلاد، وقيادة الجيش وتنظيم القوانين العامة، ونشر العدل ، ولعل خير دليل على ذلك الملك حزائيل عندما ذهب إلى الملك الأشوري أسرحدون طالبا منه إرجاع تماثيل الآلهة المقدسة.

وتأتي الكاهنة في المرتبة الثانية بعد الملك، فقد كان لها أهمية كبرى في داخل مجتمع قيدار، ومن الكاهنات القيداريات اللاتي ذكرن في المدونات الآشورية تعلخونو، وتبوعة» في المدونات الآشورية.

وقد كان الدين من أهم الضوابط في المجتمع القيداري حيث تكاتف أبناء المجتمع على اختلاف طبقاته في سبيل خدمة الدين والآلهة، فالاجتماع في المعبد لتقديس الآلهة أو لحضور مناسبة دينية كان ضرورة اجتماعية دينية لم تقتصر على شعب قيدار فقط، إنما ضمت الشعوب والقبائل المجاورة له، فأدوماتو عاصمة قيدار كانت قاعدة اجتماعية دينية.

[1] العرف في اللغة: ما يستحسن من الأفعال، وهو ضد المنكر، وقيل: هو كل ما ندب إليه الشرع، ونهى الناس عنه ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٢٤٠

يتكون المجتمع القيداري من طبقات اجتماعية تمثلت في التجار والمزارعين والصناع وأصحاب الحرف، كذلك المحاربين ورجال الجيش، والذين كان لهم دور في التصدي للأخطار الخارجية التي تهدد مجتمعهم، فقد كان لهم معرفة بالطرق البرية ومسالكها فاستعان بهم الملك الأشوري أسرحدون في عام ٦٤٧ ق.م في أثناء حملته على مصر، كما ساعدوا الملك الأخميني قمبيز في أثناء هجومه على مصر عام ٥٢٥ ق.م. ()

وكان لقيدار أسلوب في البناء والتشييد، فكانت أدوماتو عاصمة القيداريين مدينة مسورة محصنة، رجع إليها الملك حزائيل مع تعلخونو عندما هربا من الحملات الآشورية في الصحراء. فالمدونات الآشورية أشارت إلى أن أدوماتو خلال حملة الملك سنحاريب عليها، كانت مدينة مسورة، فوجود سور للمدينة في تلك الفترة التاريخية يدل على القدرة على البناء، ويشير إلى وجود البنائين.

ولم يكن المجتمع القيداري مجتمعاً منعزلاً عن باقي المجتمعات المجاورة له، إنما ساعد عملهم في التجارة، ومعرفتهم بطرقها إلى اتصالهم بالعالم الخارجي وربما إقامتهم في المنطقة التي يذهبون إليها، ولعل النقش القيداري الذي عثر عليه في تل المسخوطة، والذي يرجع صاحبه إلى أصول عربية، يبين الاتصال العربي القيداري مع مصر، واندماجهم مع ثقافتهم ().

كذلك فإن ما تشير إليه النقوش المعينية من قيام مصاهرات بين القيداريين والمعينيين ينبئ عن العلاقة الاجتماعية القائمة بين الطرفين، فالنقوش المعينية تذكر أن رجالاً من معين تزوجوا بثلاث نساء قيداريات ().

فارتباط رجال معين بالنساء القيداريات لم يكن مصادفة، إنما لا بد أن الموقع قيدار على مسار الطريق التجاري القديم، وكونها سوق استهلاك ومحطة عبور تقع على مسار الطريق التجاري، وكون رجال معين امتهنوا التجارة؛ بل إنهم قوم تجارة وأصحاب ريادة في نقل تجارة جنوب شبه الجزيرة منذ القرن الخامس ق.م وحتى القرن الأول ق.م ()، مما أدى إلى نشوء علاقة المصاهرة بين الشعبين.

---

[1] عصفور معالم حضارات الشرق ،ص٢٠٠

[2] يحيى العلاقة بين الحضارات القديمة، ص ٢٣ .

[3] السعيد . زوجات المعينيين الأجنبيات، ص ٥٦ - ٦٤ .

[4] الجرو. موجز التاريخ السياسي، ص ١٨١ ، ١٨٢ بافقيه. تاريخ اليمن القديم، ص ٢٧، ٢٨

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية :

شهدت منطقة أدوماتو ازدهاراً اقتصادياً خلال الحكم القيداري لها، فقد ساعد الموقع المميز في شمال غرب شبه الجزيرة، وتوافر المياه، والأراضي الخصبة ووقوعها على مسار طريق التجارة القديم القادم من أقصى جزيرة العرب باتجاه المراكز الاستهلاكية للتجارة العربية على تحقيق نشاط تجاري ونمو اقتصادي للمجتمع القيداري.

وقد كان للقيداريين ثروات اقتصادية تحدثت عنها الحوليات الآشورية، وكانت سبباً وراء الحملات العسكرية المتكررة لحكام آشور ؛ ليضمنوا التبعية والسيطرة المطلقة والتحكم المباشر بتلك الموارد والمنتجات التجارية الاقتصادية ([1]) .

يحتل الرعي المركز الأول في اقتصاد قيدار، حيث انتشرت المراعي في أراضي دومة، وتركزت في المنطقة الحدودية شمال بلاد النبيات ([2])، وكانت المراعي حقاً مشاعاً لسكان قيدار، ولكن كان هناك نظام الحمى؛ حيث كانت تحمى الأراضي لحيوانات الدولة المخصصة للحروب، وتحمى المراعي لحيوانات المعبد المخصصة للقرابين والنذر، وخصص القيداريون ملاجئ لهم بين الصخور في جبال منطقتهم تكون ملاذاً لهم ولقطعانهم إذا شعروا بالخطر ، كذلك عينوا ربايا «حرساً» لهم على أعلى القمم ينبئونهم عن الأخطار المحدقة بهم، ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في سفر أرميا ([3]) الذي يذكر الخطر الذي يهدد قيدار من نبوخذ نصر، والذي يطلب منهم أن يهربوا ويختبئوا في ملاجئهم حتى لا تؤخذ أغنامهم وأدواتهم وإبلهم، ويمتلك القيداريون قطعاناً كبيرة من الماعز والغنم والإبل والحمير ؛ حيث تشير أسفار التوراة إلى أن قيدار تملك قطعاناً من الماعز والغنم، وأنهم يزاولون تجارة الكباش.

[1] السعيد . التطور التاريخي في منطقة الجوف، ص ١٦ .
[2] عباس أبو طالب. شمال الجزيرة العربية، ص ٢٥ .
[3] قيدار في العهد القديم، سفر أرميا ٢٨:٤٩-٣٣

لقد مارس سكان قيدار مهنة التجارة وعملوا بها ، فكان لهم دور فعال في تجارة المنطقة انبثقت عنه علاقات تجارية واسعة مع بلدان العالم القديم في تلك الفترة، وقد ساعد وقوع أدوماتو على مفترق الطرق التجارية التي تخترق شمال غرب شبه الجزيرة أن تكون مركزاً اقتصادياً، ومحطة عبور تجارية، فهي تقع على الطريق الواصل بين دومة وحوران وجبل العرب في جنوب سوريا عبر وادي السرحان إلى دمشق ().

كان تجار قيدار يقومون بدور الوسطاء التجاريين، يساهمون في نقل البضائع التجارية من وإلى قيدار عبر الطرق والمسالك البرية، فقد ساعدت معرفتهم بالطرق التجارية لعمل جماعات منهم كأدلاء للطرق البرية، ولعل ما ساعدهم على ذلك هو معرفتهم بمسارات الطرق البرية بين المراكز الحضارية والأسواق العامرة في المنطقة آنذاك.وتكاد تكون أدوماتو بمثابة محطة تجارية تستريح فيها القوافل التجارية حيث تتولى تقديم خدماتها للقوافل، فتعمل على تزويدهم بالمياه والطعام، ومن ثم تقديم كافة احتياجات القافلة بعد سيرهم في الصحراء لفترات طويلة.وكان تزويد القوافل بدواب النقل والركوب من أهم الخدمات التي تقدمها تلك المحطات التجارية، فكانت القوافل تستبدل الجمال المجهدة والمتعبة بجمال نشيطة حيث كان هناك جمال مخصصة للبيع والإيجار.

مما سبق يتضح أ أن لقيدار دورا دورا بارزا وفعالاً في مجال الاهتمام بخدمة الطرق البرية بغرض تسهيل حركة التجارة، والانتفاع بمرور القوافل التجارية في أراضيها، فكانت تجني أرباحاً طائلة من جراء ذلك، نظراً للإتاوة أو الضريبة التي تدفعها تلك القوافل لتحقيق الحماية والسلامة لها

أما المنتجات والبضائع التي تتولى قيدار إنتاجها والمتاجرة بها، فعلى حسب روايات النصوص الآشورية، ومن خلال استعراض الإتاوات المقدمة من ملوك قيدار، نستطيع استنتاج أهم السلع التجارية، فهناك أربعة أصناف من المعادن تدل على مدى ثراء المنطقة بالمواد الخام الضرورية، مثل: الذهب والفضة والرصاص والحديد () وجلد الفيلة والعاج.

[1] تركي بك علاقات بلاد الرافدين، ص ٢؛ شرف الدين مسالك القوافل التجارية، ص ٢٥٢؛ مؤمنة. المراكز التجارية في شمال وجنوب شبه الجزيرة، ص ١١٥ ، ص ١١٦ يحيى العلاقة بين الحضارات القديمة، ص ٢٤ ، ص ٢٥ : النعيم الوضع الاقتصادي، ص ٢٣١

[2] لم تكن تلك المعادن هي الوحيدة التي تنتج في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة، بل إن النحاس في مقدمة المواد الخام، فقد كان تعدينه يتم في تيماء، ثم يصدر من تيماء إلى باقي المناطق، فكان ينقل من تيماء إلى مصر عن طريق ميناء أسيو نجير إيلات الحالية الواقع على خليج العقبة.Macdonald, North Arabia, p. 1362

ومن بين البضائع التجارية كانت الملابس المتعددة الألوان: الكتانية، والصوفية أزرق أرجواني، أحمر أرجواني ().

كذلك الحيوانات مثل الجمال والنوق والأغنام والتي كانت أهم ركيزة في الاقتصاد القيداري، والتي لا تكاد تخلو إتاوة أو هدية من ذكرها . ولا بد أن سكان قيدار مارسوا الزراعة، ولكن ربما تكون زراعة لبعض الثمار والبذور مما يسد حاجة بلادهم، دون أن يكون هناك فائض يصدر إلى ما جاورهم من مناطق.

ثالثاً: الحياة الدينية

تبوأ الدين مكانة أساسية، ودعامة عقائدية في المجتمعات، فلم يذكر التاريخ مجتمعاً، أو يصف حضارة دون أن يكون لها دين وطقوس دينية، فالدين جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية.

وقد استرعت مظاهر الطبيعة انتباه الإنسان القديم، إذ وجد فيها من القوى الخارقة ذات العلاقة بحياته ما يبرر اعتقاده بألوهيتها، فاعتقد بثالوث كوكبي مقدس مكون من أسرة يمثل فيها القمر دور الأب، والشمس الأم، أو العكس، والزهرة الابن ().

وتأكدت عبادة هذا الثالوث في آيات القرآن الكريم، فقد وصفت عبادة قوم سبأ للشمس على لسان الهدهد قال تعالى: وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ..... ()

وقد أشارت المصادر إلى شدة تدين القيداريين، ومدى تأثير الديانة في حياتهم وعلاقاتهم السياسية والاقتصادية.

فقد ذكرت النصوص الآشورية في حوليات ملوكها : أسرحدون، وآشور بانيبال آلهة قيدار () ، حيث يروي أسرحدون كيف استطاع أبوه سنحاريب أسر ستة تماثيل من دومة، ونقلها إلى بلاد آشور مع كاهنتها «تعلخونو»، ثم إعادتها مع كاهنتها تبوعة» بواسطة أسرحدون عندما توسل إليه الملك القيداري حزائيل، ثم

---

[1] اشتهر الفينيقيون بإنتاج الأقمشة الصوفية الملونة؛ حيث استخرجوا لون الصباغ من أصداف وقواقع الموركس الموجودة في شواطئ بلادهم، كما عرفوا صبغة أخرى لونها قرمزي، استخرجوا مادتها من حشرات كانت تعيش على أشجار السنديان حول الساحل. بلغ من شهرة أقمشتهم المصبوغة، والتي عرفت باسم الأرجوان أن ارتفعت أثمانها، وزاد الطلب عليها .عصفور معالم حضارات الشرق الأدنى، ص ١٦٠ . الذييب. الأوجارتيون والفينيقيون، ص ٤٦.

[2] باخشوين الحياة الدينية، ص ١٤٥.

[3] سورة النمل الآية: ٢٤.

[4] Retso,Jan, The Arabsin Antiquity Their history from the Assyrians to the umayyads, Routledge curzon London and New York – 2003, p. 6. 1

أسر هذه الآلهة مرة أخرى في عهد آشور بانيبال عندما ثار عليه يثع بن حزائيل، وإرجاعها عندما سعى يثع إلى السلام والصلح مع آشور بانيبال.

الاستنتاجات

اهتمت الدراسة بموضوع « مملكة قيدار: دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الألف الأول ق.م »

وقد خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج نجملها فيما يلي :

١ -إن مملكة قيدار كانت من أقدم الممالك العربية المعروفة حتى الآن في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث اتخذت من أدوماتو عاصمة لها .

٢ -إن مملكة قيدار كانت خصماً لآشور استطاعت أن تحد من التوسع الآشوري .

٣ -توصل البحث إلى تحديد بعض أماكن قيدار ومستوطناتها مثل أدوماتو (دومة الجندل حالياً) تل المسخوطة .

٤ -تميز النظام القيداري السياسي بالتدرج في الأنظمة السياسية ، فكانت في بداية تكوينها عبارة عن مشيخة قبلية ، ثم انتقلت إلى النظام الملكي .

٥ -وجود نظام الحكم الوراثي عند القيداريين فعندما توفي حزائيل حكم بعده يثع ابن حزائيل

٦ -تميز نظام الحكم القيداري بحسن القيادة والحنكة السياسية الفذة ، فلم يكن مقتل ملك أو هروبه يسبب تصدع النظام وانهياره ، فعندما هرب الملك يثع بن حزائيل قامت زوجته عطية وشعبه باختيار عمولادي قائدا عسكرياً يتولى إتمام الحرب مع الآشوريين.

٧ -إن مملكة قيدار وصلت إلى درجة من الوعي السياسي فلم تكن بمعزل عن الأحداث السياسية الخارجية ، فعندما قامت ثورة شمشوموكن في بابل شاركت قيدار بجيش لدعم تلك الثورة في سبيل التخلص والقضاء على القوة الآشورية .

٨ -اهتمت قيدار بالنواحي الاقتصادية فكان لها دور في التجارة وكانت أدوماتو العاصمة محطة عبور للقوافل التجارية.

٩ -إن القيداريين كانوا أدلاء للطرق والقوافل التجارية البرية بدليل استعانة جيش قمبيز بهم خلال فتحه لمصر .

١٠ -كان لقيدار اهتمام كبير بالدين والآلهة فكان تقديس التماثيل وتقديم العبادة لها يتم بإشراف الملك وحضوره.

١١ -ان لقيدار علاقات اجتماعية مع الدول الأخرى بدليل علاقة المصاهرة التي جمعت بين معين وقيدار.

وأخيراً آمل أن أكون قد قدمت معلومات مفيدة عن مملكة قيدار العربية التي تكرر ذكرها في المصادر والتي كان لها دورها البارز في التاريخ السياسي والحضاري خلال النصف الأول من الألف الأول ق. م في شمال شبه الجزيرة العربية.

المصادر

اولاً: القران الكريم

ثانياً: المصادر العربية

١. باخشوين، فاطمة علي الحياة الدينية في الحجاز قبل الإسلام منذ القرن الأول الميلادي حتى ظهور الإسلام، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات – الرياض ١٩٩٣م، غير منشورة.
٢. باخشوين، فاطمه علي الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت . الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣. الجرو، أسمهان موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) . إربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.
٤. رضا ، أحمد . معجم متن اللغة، المجلد الأول -- بيروت ١٩٥٨م ١٣٧٧هـ
٥. السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة - الرياض ١٤٢٤هـ .
٦. السعيد، سعيد بن فايز زوجات المعينيين الأجنبيات في ضوء نصوص جديدة أدوماتو ٢٠٠٥م
٧. سليمان، عامر . الجيش والسلاح في العصر الآشوري في حضارة العراق، مجلد ص ٢٧٥ - ص ٣٣٤ . - بغداد : دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩٢م .
٨. الشمري، حصة عبيد صويان حي الدرع بدومة الجندل دراسة معمارية أثرية . ط ٢ - الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، الطبعة الثانية
٩. عباس، إحسان؛ محمود أبو طالب. شمال الجزيرة في العهد الآشوري .- عمان منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك،١٩٩١م.
١٠. علي، جواد . أديان العرب قبل الإسلام، الجزيرة العربية قبل الإسلام. الرياض مطابع جامعة الملك سعود ، ١٩٨٤م
١١. المعيقل، خليل بن إبراهيم الذييب، سليمان بن عبد الرحمن الآثار والكتابات في منطقة الجوف - الرياض، ١٩٩٦م.
١٢. المعيقل، خليل بن إبراهيم المواقع الأثرية في منطقة الجوف، بحوث آثار منطقة الجوف . - ط ٠١ . - الرياض مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٢هـ .
١٣. المعيقل، خليل بن إبراهيم. الاستيطان الحضاري بمنطقة الجوف منذ أقدم العصور، بحوث آثار منطقة الجوف . - ط ١٠ - الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٢هـ .
١٤. المعيقل، خليل بن إبراهيم. وادي السرحان في عصر ما قبل الإسلام في ضوء الاكتشافات الأثرية - ط ١٠ - الرياض: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٢هـ .

١٥. الوائلي، فيصل. تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية ٨٥٣-٦٣٠ ق.م. الكويت، ١٩٨٧م.
١٦. يحيى لطفي عبد الوهاب العرب في العصور القديمة. - بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

ثانياً: رسائل الماجستير

١. تركي بك ؛ فاطمة، هاشم. علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب في عصر الدولة الأشورية الحديثة ٨٥٤-٧١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

ثالثاً: المصادر الأجنبية

1. Dumbrell,W. The Tell Elmaskhuta Bowls and the Kingdom, of Qedar in the Perisian Period, BAsor 203, 1971.
2. Eph'al, I., The Ancient Arabs, Nomands on the Borders of Fertile Crescent 9 – 5 Centuries B. C., Leiden 1982.
3. Macdonatd , M.S.A.North Arabia in The First Millennium BCE Civilizations Of The Ancient Near East, NewYork 1995 P.P 1365 – 1369
4. Rabinowitz, I., saac, Aramaic Inscriptions of the fifth centry. B.C.E. froma North – Arabs hrinein Egypt Journal of Near Eastern studies in currently publ ished by the university of Chicago press vo 1115, No. 1. (jan – 1956)
5. Retso,Jan, The Arabsin Antiquity Their history from the Assyrians to the umayyads, Routledge curzon London and New York – 2003.
6. Tadmor, H, The Inscriptions of Tiglathpileser III King of Assyria, Jerusalem 1994.
7. Weippert, M., Die Kaempfe des assyrischen Koenigs Assurbanipal gegen die Araber, (1973)